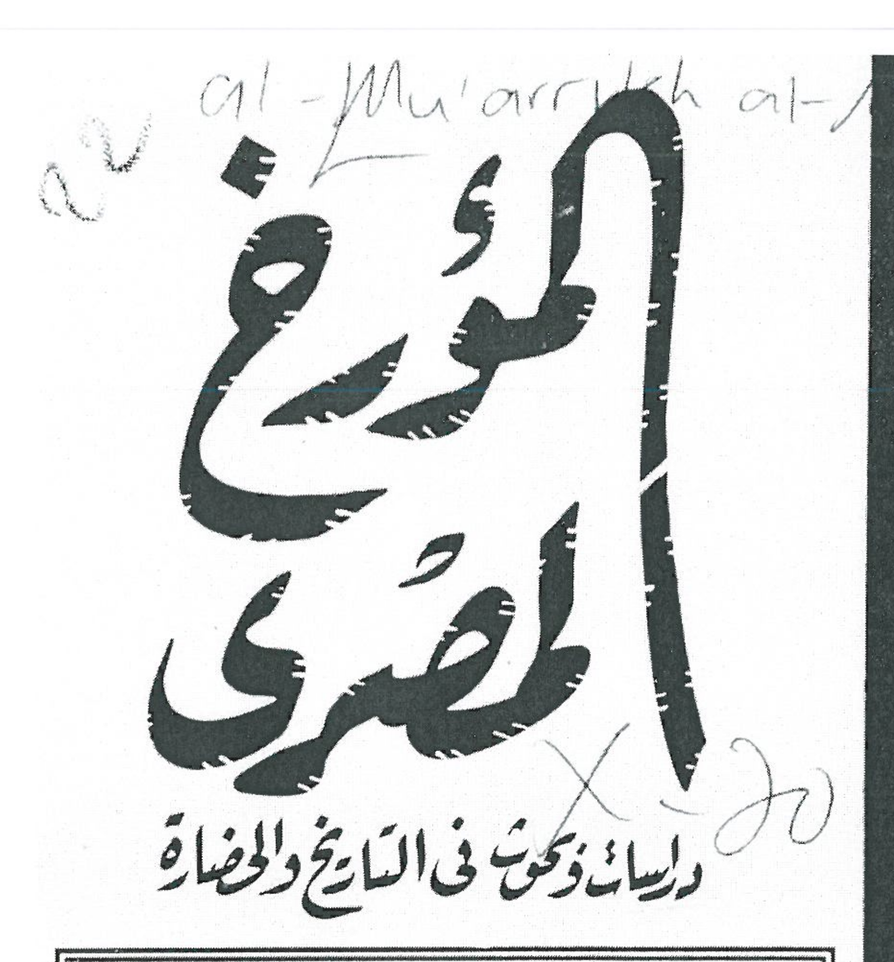
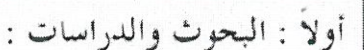
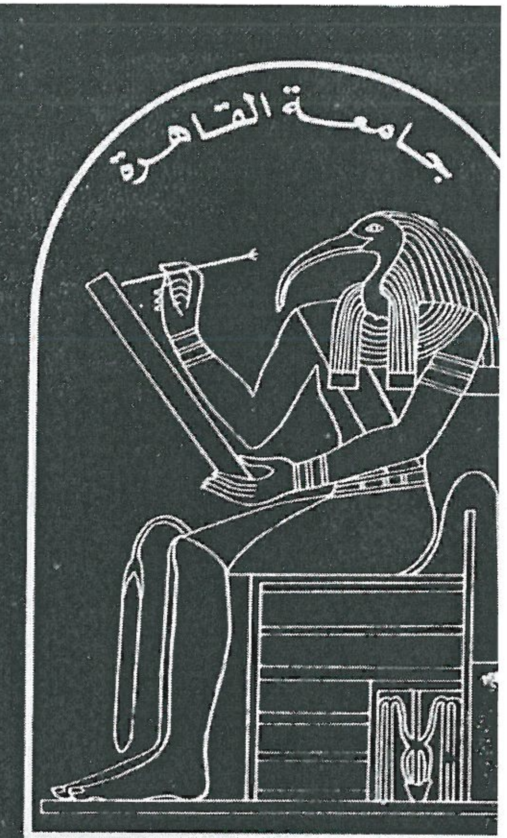






يصدرها قسم التاريخ
كلية الآداب - جامعة القاهرة
العدد العشرون يوليو ١٩٩٨

بيت المقدس عند ياقوت الحموى
فى كتابه معجم البلدان

د. إبراهيم بن محمد الحمد المزينى

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية العلوم الاجتماعية - قسم التاريخ والحضارة

المقدمـــة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آلـه وصحبه الطيبين الطاهرين وعنا معهم إلى يوم الدين ... أما بعد :

فقد كانت معرفتى بكتاب ياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨م) والموسوم بـ « معجم البلـدان » منـذ أن كنـت طالبًا فـى المرحلـة الجامعية حيث اعتمدت عليه مصدرًا من مصادر البحـوث الصفية فـى تلـك المرحلـة ؛ وازدادت معرفتى بهـذا الكتـاب بعـد أن تخرجـت وتوجهـت إلى التخصـص فـى الدراسـات التاريخية والحضارية ، وازددت عمقًا به واستفادة منـه فـى مرحلتـى : « الماجستير والدكتوراه) وكنت أظن فى بداية الأمـر أن هـذا الكتـاب مجرد معجـم جغرافى بلدانى يهتم بسرد الأماكن ويحدد مواقعها وأسماءها ، ولكن بعد اسـتقرائه والتمعـن بـه تبين أنه يشكل نمطًا فريدًا فى سلسلة كتب البلدان إذ أنه يعد مرجعًا مهمًـا فـى التـاريخ والرجـال والأدب واللغـة والنثر والشـعر واشتقاق الأسمـاء ، لـذا فهـو مصـدر مهـم لاشتماله على علوم مختلفة لا يستغنى عنها طلبة العلم مهما كانت تخصصاتهم .

وقد نال هذا الكتاب شهرة واسعة واحتل بـه صاحبـه مكانـة مرموقـة عنـد العلمـاء الذيـن جـاءوا بعـده وأصبـح مرجعًـا لدراسـاتهم ، وتولـوه بشـروحاتهم واختصاراتهم وازدادت هذه الشهرة عند علماء الغرب المستشـرقين الذيـن اهتمـوا بهذا الكتاب منذ فترة مبكرة ، فطبعوه لأول مرة فى ليبزج بألمانيـا عـام (١٨٦٦م) بعناية المستشرق (فردينـاند فسـتنفيلد) فـى أربعـة أجـزاء كبـيرة واثنـين للفهـارس والحواشى ، معتمدًا على خمس نسخ من أصول الكتاب ، كما طبـع الكتـاب مـرة

أخرى فى القاهرة سنة ١٣٢٣ - ١٣٢٤هـ وقد تولى ذلك الأستاذ محمد أمين الخانجى ، وصدر فى ثمانية أجزاء وهذه الطبعة مأخوذة عن الطبعة الأوربية ، ثم طبع ثالثة فى بيروت سنة ١٣٩٧هـ وصدر فى خمسة مجلدات عن دار صادر . وتتابعت بعد ذلك طباعته وتنقيحه بصور متعددة .

لكن مما يذكر هنا وضمن هذه المقدمة ، وقبل أن أتحدث عن هذا الكتاب وأهميته بالنسبة للبحث يجدر بنا أن نتعرف . ولو بشكل مختصر - على مؤلفه والبيئة التى نشأ فيها ، وعلى العصر الذى عاش فيه ياقوت حتى نكون على إطلاع بأهمية هذا العصر الذى ألف فيه الكتاب ، وقيمته التاريخية باعتباره مصدرًا مهمًا لهذا العصر .

أما ياقوت فهو : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، الرومى الجنس والمولد ، الحموى المولى ، البغدادى الدار ، الملقب شهاب الدين ، أصله من بلاد الروم ، وقيل ولد فى بلاد الروم سنة أربع أو خمس وسبعين وخمسمائة . ولا تذكر المصادر التى بين أيدينا شيئًا عن بلده أو أسرته وأبيه . والذى نعلمه أنه حمل إلى بغداد أسيرًا فابتاعه تاجر اسمه (عسكر الحموى) وكان من سكان بغداد ، وأطلق عليه اسم (ياقوت) وهو من أسماء الرقيق ، ولما كان اسم أبيه مجهولاً أطلق على أبيه عبد الله، وأخذ من مولاه اسم (الحموى)(١) ، وقد طاف ياقوت الحموى أنحاء واسعة من هذه المعمورة ، ومر بكثير من البلاد فكتب عن مظاهر الحياة فيها وعن شعوبها وحكامها ، وأمدنا بصورة حية عن جوانب عديدة شاهدها بنفسه ولمسها خلال رحلاته أو مقامه فى كثير من تلك البلاد ، فتمكن من تسجيل هذا الكتاب الذى يعد بحق وثيقة تاريخية مهمة لما يحويه من مادة علمية قيمة وغزيرة رصدها شاهد عيان دقيق الملاحظة واضح العبارة عميق المعنى .

أما عصره : فقد عاش ياقوت : فى الفترة ما بين سنتى (٥٧٤هـ و ٦٢٦ هـ) وتتوافق هذه الفترة مع آخر العهد العباسى الثانى الذى بدأ سنة (٢٣٢ هـ / ٨٤٦م) . وانتهى بسقوط الدولة العباسية فى يد المغول وذلك سنة (٦٥٦هـ/

١٢٥٨م) . ويتميز هذا العصر بالتفكك الذى أصاب الخلافة الإسلامية الكبرى ، وقيام العديد من الدويلات المتنافسة المنفصلة عن الخلافة ، وفى مقدمة تلك الدويلات : (دولة السلاجقة ، والدولة الخوارزمية ، والدولة الزنكية ، والدولة الأيوبية) . إضافة إلى عديد من الممالك والإمارات والأتابكيات التى انتشرت فى كثير من المناطق الإسلامية .

هذه حال العصر الذى عاش فيه ياقوت ، فالخلافة العباسية ممزقة ، والدولة السلجوقية هى الأخرى وصلت إلى مرحلة من الضعف والإنهاك وازدادت الانقسامات بين سلاطينها وأتباعها ، والدولة الزنكية بلغت أيضًا درجة من الضعف والفرقة بعد وفاة فارسها نور الدين محمود بن زنكى ، والدولة الأيوبية دب فيها الضعف والفرقة بين سلاطينها وأنهكتها الحروب المستمرة مع الصليبيين ، أما الدولة الخوارزمية فكان بلاؤها أشد لأن التتار (المغول) بدأوا بها وأذاقوها الهزائم تلو الهزائم حتى أسقطوها ، تلا ذلك إسقاط الخلافة العباسية نفسها فى بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) .

وكان خروج التتار (المغول) قد اتفق مع وجود ياقوت فى مرو ، لذا فإن الفترة الزمنية التى عاشها ياقوت تتفق مع بداية خروج التتار إلى بلاد الإسلام . وذلك فى سنة ٦١٥هـ (١٢١٨م) عندما هاجموا المدن الواقعة خلف نهر جيحون مثل بخارى وسمر قند . وكان مجيئهم نكبة كبيرة للمسلمين فى بلاد المشرق ولغير المسلمين أيضًا ، حيث توالت أفواج التتار على بلاد المسلمين حتى أزالوا الخوارزمية فى المشرق ، ثم الدولة العباسية فى بغداد . وقد عاثوا فى بلاد المسلمين الفساد والخراب والدمار وسفك الدماء ، فكان عدم الاستقرار وفقدان الأمن والطمأنينة سمة مميزة لهذا العصر الذى عاشه ياقوت . وليس أدل على ذلك من تصويره للواقع الذى عاش فيه خلال إقامته فى مدينة مرو حين قال : « ولولا ماعرا من ورود التتر إلى تلك البلاد وخرابها لما فارقتها إلى الممات لما فى أهلها من الرفد ولين الجانب وحسن العشرة وكثرة كتب الأصول المتقنة بها »(٢) ، ويشير

سيد أمير على إلى الآثار المدمرة لغارة المغول وقضائها على الحياة العقلية فى بعض أرجاء العالم الإسلامى(٣) ، كما يذكر القفطى نص الرسالة التى بعثها إليه ياقوت حين خرج من مرو وخوارزم قادمًا إلى العراق ، فالشام والتى يصف الحال التى كان عليها حين خروجه خوفًا من التتار أنه « من بين سيوف مسلولة . وعساكر مغلولة ونظم محلولة ودماء مسكوبة مطلوبة »(٤) ، ومع ذلك وبرغم فقدان الأمن والطمأنينة فقد خرج ياقوت عما هو مألوف فى عصره فخطا بالتأليف الجغرافي خطوات رائدة إلى الأمام وكان ذلك بتأليفه هذا المعجم .

أما كتابه معجم البلدان : فقد أسماه مؤلفه : « معجم البلدان » وقال فى ذلك : « ... وسميته : معجم البلدان ، اسم مطابق لمعناه »(٥) ، وذكر فى مقدمته سبب تأليفه هذا الكتاب ، ورتبه على حروف أبجدية ترتيبًا دقيقًا بحيث راعى جميع حروف الكلمة وليس أول حرف منها فقط لتسهيل المراجعة والفائدة من الكتاب، وقبل الشروع فى أصل الكتاب كتب ياقوت مقدمة اشتملت على سبب تأليف الكتاب ، وموارده فيه ، والمنهج الذى سلكه ؛ ثم ذكر خمسة أبواب مهمة فى جغرافية البلدان ؛ ثم استرسل ياقوت فى ذكر البلدان حسب منهجه فى الترتيب .

وقد سجل ياقوت فى هذا الكتاب تاريخ عصره تسجيلاً دقيقًا كما رآه وشاهده إذ لم يؤلفه إلا بعد أن جال وارتحل إلى كثير من بلدان العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه . كما كتب ياقوت عن العصور السابقة معتمدًا على المرجع وكتب السابقين وأقوال الرواة وهو يعرض مادته العلمية بالأسلوب الذى يلائمها مع التصوير الدقيق بلا تكرار أو غموض .

وقد انفرد ياقوت بإيراد روايات مفصلة ومعلومات قيمة عن القوى الإسلامية التى حكمت معظم بقاع العالم الإسلامى ، فأورد نبذًا عن كثير من الأسرات الحاكمة وجوانب من علاقاتها السياسية فيما بينها من ناحية ، وفيما بينها وبين القوى المجاورة من ناحية أخرى .

وكما كتب عن تاريخ المدن والمواقع الإسلامية والغزوات والحروب والدول المعاصرة مثل الفاطمية والبويهية والسلاجقة والزنكية والأيوبية ، فقد كتب عن سيرته وحياته ورحلاته الخاصة .

وهو يؤرخ للأدب أيضًا فيشير إلى أعمال الرجال ومؤلفاتهم ويكتب عن المجالس الأدبية التى دارت رحاها فى حلب وبغداد وغيرها . ولا ينحرف فى كتابته التاريخية عن الأسلوب المرسل مع التركيز على الحقائق وطرح الخيال إلا فى المواقف التى ينفعل لها . لأنه أولاً وآخرًا يسجل ويؤرخ لماضيه ولقد وصفه الأستاذ على أدهم فى كتابه « بعض مؤرخى الإسلام » بالمؤرخ الجامع وأرجع ذلك إلى سعة إطلاعه وكثرة تحصيله(٦) ، كما قال عنه كراتشكوفسكى أنه أفضل مصنف من نوعه لمؤلف عربى للعصور الوسطى ، وأنه جماع للجغرافيا فى صورها الفلكية والوصفية واللغوية والرحلات ، كما أنه تنعكس فيه الجغرافيا التاريخية إلى جانب الدين والحضارة والأنثروبولوجيا (علم الأجناس والفصائل البشرية) والأدب الشعبى والأدب الفنى ، وذلك فى القرون الستة الأولى للهجرة(٧) .

وقد عرف طلبة العلم عن ياقوت من خلال كتابه (معجم البلدان) أنه بلدانى التخصص ألف هذا الكتاب فى البلدان وجعله متممًا لما ألف قبله فى هذا العلم ، وأنه اهتم بتحديد المواقع الجغرافية لبلدان العالم الذى عاصره ، وركز على أبعادها وأسمائها ، ولكن مما يخفى على كثير من الباحثين أن ياقوت الحموى بكتابه هذا عد من المؤرخين البارزين حيث سجل فيه كثيرًا من الأخبار التاريخية المهمة والتى جاءت ضمن حديثه عن المواقع والبلدان وبخاصة تلك الأحداث التى عاصرها وأعنى بها أخبار الحروب الصليبية ، والغزو المغولى لكثير من بلاد المسلمين ، بل إننى ومن خلال الموازنة تأكد لى انفراد ياقوت بذكر كثير من الأخبار التى ربما غفل عنها المؤرخون المحترفون ، وربما بعضهم ممن عاصر هذه الأحداث .

ومن هنا فإن هذه الدراسة تأتى محاولة لإلقاء الضوء على هذا الجانب المهم من آثار ياقوت الحموى ، وهو جانب لم يدرس – فيما أعلم – ويحتاج إلى مزيد من العناية والدرس ، وأعنى به الجانب التاريخى فى كتابه (معجم البلدان) ، وبالتحديد : ما يتعلق بأخبار بيت المقدس . ليكون موضوعًا تحت عنوان : «أخبار بيت المقدس عند ياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان » .

ومما يشار إليه هنا أن آثار ياقوت التاريخية ومروياته – وبخاصة فى زمن معاصرته للأحداث – تبلغ درجة عالية من الصحة والواقعية فى كثير من الأحيان ، بل إنه يكاد ينفرد بذكر كثير من الأحداث التاريخية المهمة والتى يغفل عنها المحترفون من المؤرخين المعاصرين لها ، إذ تمتزج المعلومات التاريخية عند ياقوت الحموى فى معجمه كثيرًا بالمعلومات الجغرافيا والبلدانية ، فعلى الرغم من إتباع ياقوت منهج الترتيب الهجائى فى ذكر البلدان والتعريف بها وبمواقعها وأطوالها ، وعدم إبرازه للأحداث التاريخية بعناوينها أو سنواتها كما هو عليه منهج المؤرخين، إلا أننا نرى كثيرًا من المعلومات التاريخية المتداخلة فى ثنايا المعلومات الجغرافية ، بدرجة تجعله يتفرد بذكر أحداث تاريخية مهمة ضمن ذكره لموقع من المواقع الجغرافية .

وياقوت الحموى : زار بيت المقدس وكتب عنه بإسهاب فى كتابه معجم البلدان . وقد بدأ ياقوت حديثه عن بيت المقدس بتعريف لغوى ، وذكر ما أشار إليه المفسرون فى تفسير كثير من الآيات ذات الصلة والتى بينت فضائل بيت المقدس ، وأهميته بالنسبة للمسلمين ، ثم ثنى بما ورد من أحاديث شريفة عن بيت المقدس وما ورد حوله من آثار عن المواقع المقدسة فيه ، ثم قام بعد ذلك بدراسة وصفية لهذه الآثار وفضائلها وأطوالها وما تختص به عن غيرها من المواقع .

بعد ذلك بسط ياقوت حديثه عن الفتح الإسلامى لبيت المقدس زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – سنة (١٧هـ / ٦٣٨م) وأنها استمرت على هذه الحال الإسلامية حتى استولى عليها الصليبيون فى (شعبان سنة

٤٩٢هـ / يوليو ١٠٩٩م) وتحدث عما قام به الصليبيون من أعمال شنيعة أثر دخولهم المدينة المقدسة .

ثم تحدث ياقوت – بعد ذلك – عن بيت المقدس فى زمنه وعن زيارته له وأعقب ذلك بحديث مهم عن أبرز الأعلام الذين نسبوا إلى بيت المقدس .

كما أن ياقوت لم يغفل عن أخبار بيت المقدس فى مواضع عديدة من كتابه، فهو حينما يشير إلى أحداث الصراع بين المسلمين والصليبيين على الساحل الشامى يكون بيت المقدس محورًا لحديثه فى كثير من الأحيان .

وبالجملة فإنه يتأكد فى مثل هذا البحث أن كتاب : « معجم البلدان » لياقوت الحموى لم يكن مجرد معجم بلدانى يهتم بسرد المواقع وتحديد جهاتها وأسمائها بل إنه يعد مصدرًا تاريخيًا سجل فيه مؤلفه نبذًا مهمة من تاريخ عصره كما شاهد ورأى ، ومن ذلك حديثه عن بيت المقدس ، ومن هنا تأتى أهمية هذا البحث والحاجة إلى طرقه .

ثم إنه يشار هنا إلى أهمية أخرى للمعلومات التاريخية الواردة فى المعجم تلكم هى الآثار والروايات التى نقلها ياقوت من مصادر مهمة قد تكون مفقودة ويصعب الوقوف عليها لفقدها أوندرتها . فهو هنا ينقل عن هذه المصادر بأمانة ودقة ويحيل إليها فى مواضعها .

وقد بدأت هذا البحث بإيراد مقدمة عن ياقوت وعصره وأهمية معجمه بما ورد فيه من أخبار تاريخية بشكل عام ، وحول موضوع البحث بشكل خاص . ثم يلى ذلك إيراد نص ياقوت فى معجمه عن بيت المقدس مقسمًا هذا النص حسب أهميته وترتيبه له ، وقد تركز العمل على تعليق ما يحتاجه النص فى هوامش المتن مع محاولة لتأصيل الآثار والأخبار الواردة فى النص .

وكان من أهداف هذا العمل إبراز قيمة الآثار التاريخية الواردة فى المصادر الجغرافية ومنها هذا المعجم باعتباره نموذجًا لهذه المصادر ، وتطبيق ذلك من خلال جزئية وردت فى هذا المعجم ، وهى حديثه عن « بيت المقدس » .

لذا آمل أن أكون قد وفقت فى طرق هذا الموضوع بجوانبه الأساسية ، وأسال المولى القدير أن يجعله عملاً خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يكون نواة لدراسات أشمل وأعم فى مثل هذه الجوانب ، وضمن مثل هذه المصادر .

قراءة النص :

ورد النص فى المعجم عن ياقوت تحت كلمة « المقدس » والتى نسب إليها بيت المقدس حيث بدأ نصه بتعريف اللفظة والمراد بها ، وأورد جملة من آراء المفسرين واللغويين حول الكلمة فقال ما نصه : « المقدس : فى اللغة المنزه ، قال المفسرون فى قوله تعالى : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ ، قال الزجاج : معنى نقدس لك أى نطهر أنفسنا لك وكذلك نفعل بمن أطاعك نقدسه أى نطهره، قال : ومن هذا قيل للسطل القدس لأنه يتقدس منه أى يتطهر ، قال : ومن هذا بيت المقدس ، كذا ضبطه بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وتخفيف الدال وكسرها، أى البيت المقدس المطهر الذى يتطهر به من الذنوب ؛ قال مروان :

قل للفرزدق ، السفاهة كاسمها ... إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس

ودع المدينة إنها محذورة ، ... والحق بمكة أو ببيت المقدس

وقال قتادة : المراد بأرض المقدس أى المبارك ، وإليه ذهب ابن الأعرابى ، ومنه قيل للراهب مقدس ، ومنه قول امرئ القيس :

فأدركنه يأخذون بالساق والنسا ... كما شبرق الولدان ثوب المقدس

وصبيان النصارى يتبركون به وبمسح مسحه الذى هو لابسه وأخذ خيوطه منه حتى يتمزق عنه ثوبه »(٨) .

ثم عرج ياقوت بعد ذلك إلى فضائل بيت المقدس وأشار إلى كثرتها وأنه أورد شيئًا منها حتى يستحسنه المطلع عليه ، وهى مع ذلك نصوص مهمة فى بابها بدأها بمجموع آيات ذات دلالة على فضائل بيت المقدس ، ومنها : قوله تعالى : ﴿ ونجيناه ولوطًا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين ﴾(٩) ، قال مقاتل بن

سليمان : هى بيت المقدس ، وقوله تعالى لبنى إسرائيل : « وواعدناكم جانب الطور اليمن »(١٠) ، يعنى بيت المقدس ، وقوله تعالى : ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آيتين وأويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ﴾(١١) ، قال : البيت المقدس ، وقال تعالى : ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾(١٢) ، هو بيت المقدس ، وقوله تعالى : ﴿ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه »(١٣) ، البيت المقدس(١٤) .

وذكر ياقوت لهذه المجموعة من الآيات القرآنية تكشف عن سعة علمه وإطلاعه على معارف مهمة لمثل موضوعه من ذلك كثرة استشهاده بالقرآن الكريم . فهو يشير إلى كثير من الآيات فى مناسبتها ، ويستطرد أحيانًا فى شرحها وبيان مناسبتها ، وربما أورد كثيرًا من الآيات المتابعة داخل موضوع واحد ، ويتكرر ذلك فى الكتابة المتعلقة بالأماكن المقدسة كما حصل هنا .

ثم أورد ياقوت جملة من الأحاديث النبوية والأخبار والآثار الدالة على فضائل بيت المقدس ، وهنا نشير إلى أنه تعود أن يستشهد بالحديث النبوى مع حذف الأسانيد حتى لا يضخم حجم كتابه بها .

ومن هذه الأحاديث :«من صلىفى بيت المقدس فكأنما صلى فى السماء»، ورفع الله عيسى بن مريم إلى السماء من بيت المقدس وفيه مهبطه إذا هبط وتزف الكعبة بجميع حجاجها إلى البيت المقدس يقال لها مرحبًا بالزائر والمزور ، وتزف جميع مساجد الأرض إلى البيت المقدس ؛ أول شيئ حسر عنه بعد الطوفان صخرة بيت المقدس وفيه ينفخ فى الصور يوم القيامة وعلى صخرته ينادى المنادى يوم القيامة ، وقد قال الله تعالى لسليمان بن داود ، عليهما السلام ، حين فرغ من بناء البيت المقدس : سلنى أعطك ، قال : يا رب أسالك أن تغفر لى ذنبى ، قال : لك ذلك ، قال : يا رب وأسألك أن تغفر لمن جاء هذا البيت يريد الصلاة فيه وأن تخرجه من ذنوبه كيوم ولد ، قال : لك ذلك ، قال : وأسألك من جاء فقيرًا أن تغنيه ، قال : لك ذلك ، قال وأسألك من جاء سقيمًا أن تشفيه ، قال : ولك

ذلك ، وعن النبى ، ﷺ ، أنه قال : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام ومسجد البيت المقدس(١٥) ، وأن الصلاة فى بيت المقدس خير من ألف صلاة فى غيره(١٦) ، وأقرب بقعة فى الأرض من السماء البيت المقدس ويمنع الدجال من دخولها ويهلك يأجوج ومأجوج دونها ، وأوصى آدم ، عليه السلام ، أن يدفن بها وكذلك إسحاق وإبراهيم ، وحمل يعقوب من أرض مصر حتى دفن بها ، وأوصى يوسف عليه السلام ، حين مات بأرض مصر أن يحمل إليها ، وهاجر إبراهيم من كوثى إليها ، وإليها المحشر ومنها المنشر ، وتاب الله على داود بها ، وصدق إبراهيم الرؤيا بها ، وكلم عيسى الناس فى المهد بها ، وتقاد الجنة يوم القيامة إليها ومنها يتفرق الناس إلى الجنة أو إلى النار وروى عن كعب أن جميع الأنبياء ، عليهم السلام ، زاروا بيت المقدس تعظيمًا له ، وروى عن كعب أنه قال : لا تسموا بيت المقدس إيلياء ولكن سموه باسمه فإن إيلياء امرأة بنت المدينة ، وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : فلما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل الله حكمًا يوافق حكمه وملكًا لا ينبغى لأحد من بعده فأعطاه الله ذلك(١٧) ، وعن ابن عباس قال : البيت المقدس بنته الأنبياء وسكنته الأنبياء ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبى أوقام فيه ملك(١٨) ، وعن أبى ذر قال : قلت لرسول الله ﷺ : أى مسجد وضع على وجه الأرض أولاً؟ قال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أى ؟ قال : البيت المقدس وبينهما أربعون سنة ، وروى عن أبى بن كعب(١٩) ، قال : أوحى الله تعالى إلى داود ابن لى بيتًا، قال : يا رب وأين من الأرض ؟ قال : حيث ترى الملك شاهرًا سيفه ، فرأى داود ملكًا على الصخرة واقفًا وبيده سيف ، وعن الفضيل بن عياض قال : لما صرفت القبلة نحو الكعبة قالت الصخرة : « إلهى لم أزل قبلة لعبادك حتى إذا بعثت خير خلقك صرفت قبلتهم عنى ! قال : ابشرى فإنى واضع عليك عرشى وحاشر إليك خلقى وقاض عليك أمرى وناشر منك عبادى » وقال كعب : من زار البيت المقدس شوقًا إليه دخل الجنة ، ومن صلى فيه ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وأعطى قلبًا شاكرًا ولسانًا ذاكرًا ، ومن تصدق فيه بدرهم كان فداءه من

النار، ومن صام فيه يومًا واحدًا كتبت له براءته من النار ، وقال كعب : « معقل المؤمنين أيام الدجال البيت المقدس يحاصرهم فيه يأكلوا أوتار قسيهم من الجوع ، فبينما هم كذلك إذ سمعوا صوتًا من الصخرة يقولون هذا صوت رجل شبعان ، فينظرون فإذا عيسى بن مريم ، عليه السلام ، فإذا رآه الدجال هرب منه فيتلقاه بباب لد فيقتله ، وقال أبو مالك القرظى فى كتاب اليهود الذى لم يغير : إن الله تعالى خلق الأرض فنظر إليها وقال : أنا واطئ على بقعتك ، فشمخت الجبال وتواضعت الصخرة فشكر الله لها وقال : هذا مقامى وموضع ميزانى وجنتى ونارى ومحشر خلقى وأنا ديان يوم الدين ، وعن وهب بن منبه قال : أمر إسحاق ابنه يعقوب أن لا ينكح امرأة الكنعانيين وأن ينكح من بنات خاله لابان بن تاهر بن أزر وكان مسكنه فلسطين فتوجه إليها يعقوب ، وأدركه فى بعض الطريق الليل فبات متوسدًا حجرًا فرأى فيما يرى النائم كأن سلما منصوبًا إلى باب السماء عند رأسه والملائكة تنزل منه وتعرج فيه وأوحى الله إليه : إنى أنا الله لا إله إلا أنا إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وقد ورثتك هذه الأرض المقدسة وذريتك من بعدك وباركت فيك وفيهم وجعلت فيكم الكتاب والحكمة والنبوة ثم أنا معك حتى تدرك إلى هذا المكان فاجعله بيتًا تعبدنى فيه أنت وذريتك، فيقال إنه بيت المقدس ، فبناه داود وابنه سليمان ثم أخربته الجبابرة بعد ذلك فاجتاز به شعيا ، وقيل عزير عليهما السلام ، فرآه خرابًا . فقال : أنى يحيى هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام ثم بعثه ؛ كما قص عز وجل ، فى كتابه الكريم ، ثم بناه ملك من ملوك فارس يقال له كوشك ، وكان قد اتخذ سليمان فى بيت المقدس أشياء عجيبة ، منها القبة التى فيها السلسلة المعلقة ينالها صاحب الحق ولا ينالها المبطل حتى اضمحلت بحيلة غير معروفة ، وكان من عجائب بنائه أنه بنى بيتًا وأحكمه وصقله فإذا دخله الفاجر والورع تبين الفاجر من الورع ، لأن الورع كان يظهر خياله فى الحائط أبيض والفاجر يظهر خياله أسود ، وكان أيضًا مما اتخذ من الأعاجيب أن ينصب فى زاوية من زواياه عصا آبنوس فكان من مسها من أولاد الأنبياء لم تضره ومن مسها من غيرهم أحرقت يده(٢٠) .

وهنا نلاحظ أن ياقوت جمع كثيرًا من الآيات والأحاديث والآثار الواردة فى فضائل بيت المقدس ، وركز فى ذلك حتى أنه يمكن جمع ما كتبه وتحقيقه ، وإظهاره فى كتيب مستقل عن فضائل بيت المقدس .

ثم عمد ياقوت إلى إيراد أوصاف بيت المقدس ، وأشار إلى أنه لو استطرد فيها لمل القارئ ؛ فقال : « وقد وصفها القدماء بصفات إن استقصيتها أمللت القارئ والذى شاهدته أنا منها أن أرضها وضياعها وقراها كلها جبال شامخة وليس حولها ولا بالقرب منها أرض وطيئة البتة وزروعها على الجبال وأطرافها بالفؤوس لأن الدواب لا صنع لها هناك ، وأما نفس المدينة فهى على فضاء فى وسط تلك الجبال وأرضها كلها حجر من الجبال التى هى عليها وفيها أسواق كثيرة وعمارات حسنة ، وأما الأقصى فهو فى طرفها الشرقى نحو القبلة أساسه من عمل داود ، عليه السلام ، وهو طويل عريض وطوله أكثر من عرضه ، وفى نحو القبلة المصلى الذى يخطب فيه الجمعة وهو على غاية الحسن والأحكام مبنى على الأعمدة الرخام الملونة والفسيفساء التى ليس فى الدنيا أحسن منها لا جامع دمشق ولا غيره ، وفى وسط صحن هذا الموضع مصطبة عظيمة فى ارتفاع نحو خمسة أذرع كبيرة يصعد إليها الناس من عدة مواضع بدرج ، وفى وسط هذه المصطبة قبة عظيمة على أعمدة رخام مسقفة برصاص منمقة من برا وداخل بالفسيفساء مطبقة بالرخام الملون قائم ومسطح ، وفى وسط هذا الرخام قبة أخرى وهى قبة الصخرة التى تزار وعلى طرفها أثر قدم النبى ﷺ ، وتحتها مغارة ينزل إليها بعدة درج مبلطة بالرخام قائم ونائم يصلى فيها وتزار ، ولهذه القبة أربعة أبواب ، وفى شرقيها برأسها قبة أخرى على أعمدة مكشوفة حسنة مليحة يقولون إنها قبة السلسلة وقبة المعراج أيضًا على حائط المصطبة وقبة النبى داود ، عليه السلام ، كل ذلك على أعمدة مطبق أعلاها بالرصاص ، وفيها مغاور كثيرة ومواضع يطول عددها مما يزار ويتبرك به ، ويشرب أهل المدينة من ماء المطر ، ليس فيها دار إلا وفيها صهريج لكنها مياه ردية أكثرها يجتمع من الدروب، وإن كانت دروبهم حجارة ليس فيها ذلك الدنس الكثير ، وبها ثلاث برك عظام : بركة بنى إسرائيل

وبركة سليمان ، عليه السلام ، وبركة عياض عليها حماماتهم ، وعين سلوان فى ظاهر المدينة فى وادى جهنم مليحة الماء وكان بنو أيوب قد أحكموا سورها ثم خربوه على ما نحكيه بعد ، وفى المثل : قتل أرضًا عالمها وقتلت أرض جاهلها ، هذا قول أبى عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشارى المقدسى له كتاب فى أخبار بلدان الإسلام وقد وصف بيت المقدس فأحسن فالأولى أن نذكر قوله لأنه أعرف ببلده وإن كان قد تغير بعده بعض معالمها ، قال : هى متوسطة الحر والبرد قل ما يقع فيها ثلج ، قال : وسألنى القاضى أبو القاسم عن الهواء فقلت :سجسج لا حر ولا برد ، فقال : هذه صفة الجنة ، قلت : بنيانهم حجر لا ترى أحسن منه ولا أنفس منه ولا أعف من أهلها ولا أطيب من العيش بها ولا أنظف من أسواقها ولا أكبر من مسجدها ولا أكثر من مشاهدها ، وكنت يومًا فى مجلس القاضى المختار أبى يحيى بهرام بالبصرة فجرى ذكر مصر إلى أن سئلت : أى بلد أجل ؟ قلت : بلدنا ، قيل : فأيهما أطيب ؟ قلت : بلدنا ، قيل : فأيهما أفضل ؟ قلت : بلدنا ، قيل فأيهما أحسن ؟ قلت : بلدنا ، قيل : فأيهما أكثر خيرات ؟ قلت : بلدنا ، قيل : فأيهما أكبر ؟ قلت : بلدنا ، فتعجب أهل المجلس من ذلك وقيل : أنت رجل محصل وقد ادعيت ما لا يقبل منك « وما مثلك »(٢١) ، إلا كصاحب الناقة مع الحجاج ، قلت : أما قولى أجل فلأنها بلدة جمعت الدنيا والآخرة فمن كان من أبناء الدنيا وأراد الآخرة وجد سوقها ، ومن كان من أبناء الآخرة فدعته نفسه إلى نعمة الدنيا وجدها ، وأما طيب هوائها فإنه لاسم لبردها ولا أذى لحرها، وأما الحسن فلا يرى أحسن من بنيانها ولا أنظف منها ولا أنزه من مسجدها ، وأما كثرة الخيرات فقد جمع الله فيه فواكه الأغوار والسهل والجبل والأشياء المتضادة كالأترج واللوز والرطب والجوز والتين والموز ، وأما الفضل فهى عرصة القيامة ومنها النشر وإليها الحشر وأنما فضلت مكة بالكعبة والمدينة بالنبى ، ﷺ ، ويوم القيام تزفان إليها فتحوى الفضل كله ، وأما الكبر فالخلائق كلهم يحشرون إليها فأى أرض أوسع منها ؟ فاستحسنوا ذلك وأقروا به ، قال : إلا أن لها عيوبًا ، يقال إن فى التوراة مكتوبًا بيت المقدس طست من ذهب مملوء عقارب ، ثم لا

نرى أقذر من حماماتها ولا أثقل مؤنة وهى مع ذلك قليلة العلماء كثيرة النصارى وفيهم جفاء وعلى الرحبة والفنادق ضرائب ثقال وعلى ما يباع فيها رجالة وعلى الأبواب أعوان فلا يمكن أحدًا أن يبيع شيئًا مما يرتفق به الناس إلا بها مع قلة يسار، وليس للمظلوم أنصار ، فالمستور مهموم والغنى محسود والفقيه مهجور والأديب غير مشهور ، ولا مجلس نظر ولا تدريس ، قد غلب عليها النصارى واليهود وخلا المجلس من الناس والمسجد من الجماعات ، وهى أصغر من مكة وأكبر من المدينة عليها حصن بعضها على جبل وعلى بقية خندق ، ولها ثمانية أبواب حديد : باب صهيون وباب النية وباب البلاط وباب جب أرميا وباب سلوان وباب أريحا وباب العمود وباب محراب داود ، عليه السلام ، والماء بها واسع ، وقيل : ليس ببيت المقدس أكثر من الماء والأذان قل أن يكون بها دار ليس بها صهريج أو صهريجان أو ثلاث على قدر كبرها وصغرها ، وبها ثلاث برك عظام : بركة بنى إسرائيل وبركة سليمان وبركة عياض عليها حماماتهم لها دراع من الأزقة ، وفى المسجد عشرون جبًا مشجرة قل أن تكون حارة ليس بها جب مسيل غير أن مياهها من الأزقة وقد عمد إلى واد فجعل بركتين تجتمع إليهما السيول فى الشتاء وقد شق منهما قناة إلى البلد تدخل وقت الربيع فتدخل صهاريج الجامع وغيرها »(٢٢) .

ثم عمد ياقوت بعد ذلك إلى وصف المسجد الأقصى من واقع مشاهدته له، فقال : « وأما المسجد الأقصى فهو على قرنة البلد الشرقى نحو القبلة أساسه من عمل داود ، طول الحجر عشرة أذرع وأقل منقوشة موجهة مؤلفة صلبة وقب بنى عليه عبد الملك بحجارة صغار حسان وشرفوه وكان أحسن من جامع دمشق لكن جاءت زلزلة فى أيام بنى العباس فطرحته إلا ما حول المحراب فلما بلغ الخليفة خبره وأراد رده مثلما كان فقيل له : تعيا ولا تقدر على ذلك ، فكتب إلى أمراء الأطراف والقواد يأمرهم أن يبنى كل واحد منهم رواقًا ، فبنوه أوثق وأغلظ صناعة مما كان ، وبقيت تلك القطعة شامة فيه وهى إلى حذاء الأعمدة الرخام ، وما كان من الأساطين المشيدة فهو محدث ، وللمغطى ستة وعشرون بابًا : باب يقابل المحراب يسمى باب النحاس الأعظم مصفح بالصفر المذهب لا يفتح مصراعه

إلا رجل شديد القوة عن يمينه سبعة أبواب كبار فى وسطها باب مصفح مذهب وعلى اليسار مثلها وفى نحو المشرق أحد عشر بابًا سواذج وخمسة عشر رواقًا على أعمدة رخام أحدثها عبد الله بن طاهر ، وعلى الصحن من الميمنة أروقة على أعمدة رخام وأساطين ، وعلى المؤخر أروقة ازاج من الحجارة ، وعلى وسط المغطى جمل عظيم خلف قبة حسنة ، والسقوف كلها إلا المؤخر ملبسة بشقاق الرصاص والمؤخر مرصوف بالفسيفساء الكبار والصحن كله مبلط ، وفى الرواق دكة مربعة مثل مسجد يثرب يصعد إليها من أربع جهاتها بمراق واسعة ، وفى الدكة أربع قباب : قبة السلسلة وقبة المعراج وقبة النبى ﷺ ، وهذه الثلاث الصغار ملبسة بالرصاص على أعمدة رخام مكشوفة ، وفى وسط الدكة قبة الصخرة على بيت مثمن بأربعة أبواب كل باب يقابل مرقاة من مراقى الدكة ، وهى : الباب القبلى ، وباب إسرافيل وباب الصور وباب النساء ، وهو الذى يفتح إلى المغرب ، جميعها مذهبة فى وجه كل واحد باب مليح من خشب التنوب ، وكانت قد أمرت بعملها أم المقتدر بالله ، وعلى كل باب صفة مرخمة والتنوبية مطبقة على الصفرية من خارج ، وعلى أبواب الصفات أبواب أيضًا سواذج داخل البيت ثلاثة أروقة دائرة على أعمدة معجونة أجل من الرخام وأحسن لا نظير لها قد عقدت عليه أروقة لاطئة داخل فى رواق آخر مستدير على الصخرة على أعمدى معجونة بقناط مدورة فوق هذه منطقة متعالية فى الهواء فيها طاقات كبار والقبة فوق المنطقة طولها غير القاعدة الكبرى مع السفود فى الهواء مائة ذراع ترى من البعد فوقها سفود حسن طوله قامة وبسطة ، والقبة على عظمها ملبسة بالصفر المذهب وأرض البيت مع حيضانه ، والمنطقة من داخل وخارج على صفة جامع دمشق ، والقبة ثلاث سافات : الأولى مروقة على الألواح والثانية من أعمدة الحديد قد شبكت لئلا تميلها الرياح ، ثم الثالثة من خشب عليها الصفائح وفى وسطها طريق إلى عند السفود يصعد منها الصناع لتفقدها ورمها فإذا بزغت عليها الشمس أشرقت القبة وتلألأت المنطقة ورؤيت شيئًا عجيبًا ، وعلى الجملة لم أر فى الإسلام ولا سمعت أن فى الشرك مثل هذه القبة ، ويدخل المسجد من ثلاثة عشر موضعًا

بعشرين بابًا ، منها : باب الحطة وباب النبى ، عليه الصلاة والسلام ، وباب محراب مريم وباب الرحمة وباب بركة بنى إسرائيل وباب الأسباط وباب الهاشمين وباب الوليد وباب إبراهيم ، عليه السلام ، وباب أم خالد وباب داود ، عليه السلام وفيه من المشاهد محراب مريم وزكرياء ويعقوب والخضر ومقام النبى ﷺ ، وجبرائيل وموضع المنهل والتور والكعبة والصراط متفرقة فيه وليس على الميسرة أروقة ، والمغطى لا يتصل بالحائط الشرقى وإنما ترك هذا البعض لسببين أحدهما قول عمر : واتخذوا فى غربى هذا المسجد مصلى للمسلمين ، فتركت هذه القطعة لئلا يخالف ، والآخر لو مد المغطى إلى الزاوية لم تقع الصخرة حذاء المحراب فكرهوا ذلك ، والله أعلم ، وطول المسجد ألف ذراع الهاشمى ، وعرضه سبعمائه ذراع ، وفى سقوفه من الخشب أربعة آلاف خشبة وسبعمائة عمود رخام ، وعلى السقوف خمسة وأربعون ألف شقة رصاص ، وحجم الصخر ثلاثة وثلاثون ذراعًا فى سبعة وعشرين ، وتحت الصخرة مغارة تزار ويصلى فيها تسع مائة وستين نفسًا، (وكانت وظيفته كل شهر مائة دينار) ، وفى كل سنة ثمانمائة ألف ذراع حصرًا ، وخدامه مماليك له أقامهم عبد الملك من خمس الأسارى ولذلك يسمون الأخماس لا يخدمه غيرهم ولهم نوب يحفظونها ؛ وقال المنجمون : المقدس طوله ست وخمسون درجة ، وعرضه ثلاث وثلاثون درجة ، فى الإقليم الثالث »(٢٣) .

ويذكر هنا أن ياقوت إضافة إلى ما تميز به من رصد وتسجيل كل ما يشاهده أو يسمع به من غرائب الأحداث ، والوقائع والمشاهد التى يقف عليه أو يسمعها ، فإنه لم يترك بلدًا فتحه المسلمون إلا ذكر فى موضعه قصة الفتح منبهًا على المواقع التى أبلى فيها المسلمون بلاء حسنًا ، وهو مؤرخ بارع يستطرد فى ذكر الخبر ويعمد إلى تفاصيل دقيقة فى أسلوب روائى سهل ممتع ، ولا ينسى أن يشير إلى الفتح أن كان صلحًا أو عنوة(٢٤) .

ومنها حديثه هنا عن بيت المقدس ، فقد قال عنه : « وأما فتحها فى أول الإسلام إلى يومنا هذا فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنفذ عمرو بن العاص إلى فلسطين ثم نزل البيت المقدس فامتنع فقدم أبو عبيدة بن الجراح بعد أن افتتح قنسرين وذلك فى سنة ١٦ للهجرة فطلب أهل بيت المقدس من أبى عبيدة الأمان والصلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام من أداء الجزية والخراج والدخول فيما دخل فيه نظراؤهم على أن يكون المتولى للعقد لهم عمر بن الخطاب ، فكتب أبو عبيدة بذلك إلى عمر فقدم عمر ونزل الجابية من دمشق ثم صار إلى بيت المقدس فأنفذ صلحهم وكتب لهم به كتابًا وكان ذلك فى سنة ١٧ »(٢٥) .

وقد وردت قصة فتح فلسطين وبيت المقدس فى كتب الفتوح الإسلامية وفق ما يلى :

أنه بعد فتح دمشق انعزل عمرو بن العاص بجيشه وأخذ يفتح فى نواحى فلسطين ، ووقعت معركة أجنادين بين عمرو وجنود الروم بقيادة أرطبون ، وهى معركة قوية انتصر فيها المسلمون واستولى عمرو بعدها على مدن فلسطين الشمالية(٢٦) ، ثم توجه إلى بيت المقدس ، وبدأ يحاصرها ، وقد دافع عنها الروم بقيادة أرطبون دفاعًا مستميتًا واستعملوا المنجنيق لضرب المسلمين ، الذين تضرروا من ذلك ، فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يطلب منه المدد ، فأصدر عمر بن الخطاب أمرًا إلى أبى عبيدة بن الجراح ليكون مددًا لعمرو فى حصاره لبيت المقدس ، فخرج أبو عبيدة فى جيشه متوجهًا إلى بيت المقدس ، فساعد وصوله فى تقوية عزائم المسلمين ، وفت فى عضد الروم الذين أخذوا يفكرون فى الصلح والاستسلام ، خصوصًا بعد ما شاهدوا من وفاء المسلمين وعدلهم فى المدن المفتوحة وبدأ بطريرك القدس مفاوضة المسلمين فى الصلح بنفسه ، مما أغضب قائد الروم أرطبون فترك القدس وأتجه إلى مصر ، واستمرت المفاوضات بين المسلمين وبطاركة وقساوسة بيت المقدس حتى وافق أهلها وزعمائها على التسليم والمصالحة واشترطوا أن يتولى الصلح عمر بن الخطاب بنفسه ، وأن يسلموا مدينتهم له

شخصيًا ، فكتب أبو عبيدة وعمرو بن العاص لعمر بن الخطاب بذلك ، فاستخلف عمر على المدينة وكتب إلى أجناد الشام بالتجمع فى الجابية ليلتقى بهم(٢٧) .

فسار عمر إلى بلاد الشام ، حتى وصل الجابية ، وفيها التقى عمر بالمسلمين وتفقد أحوالهم ، وأذن بهم بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ وكان لم يؤذن بهم بعد وفاة الرسول فتذكر المسلمون رسول الله ﷺفبكوا جميعًا(٢٨) ، ثم التقى عمر بمندوبى بيت المقدس ، وكتب لهم عهدًا أمنهم فيه على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ، وأن لا يجبرو على ترك دينهم ، وأنهم بالخيار من شاء منهم البقاء فى ذمة المسلمين ومن شاء اللحاق بالروم ، ومن خرج منهم فهو أمن على نفسه وماله حتى يبلغ مأمنه ، واشترط أهل بيت المقدس أن لا يسكن معهم أحد من اليهود(٢٩) .

وهذا العهد يدل على حسن معاملة المسلمين لأهل الديانات الأخرى وحفظهم لحقوقهم وقد توجه عمر بعد ذلك إلى بيت المقدس واستقبله أهلها وبطاركتها ، ودخل بيت المقدس واختط بها مسجدًا وأقام فيها بضعة أيام ، ثم غادرها إلى الجابية ، حيث بقى بعض الوقت مع المسلمين وقوادهم ناقش خلالها أمورهم المختلفة ، ثم عاد إلى المدينة(٣٠) .

وبعد فتح بيت المقدس صار المسلمون قد فتحوا معظم بلاد الشام وأصبحت لهم السيطرة الفعلية عليه دون منازع بعد أن واجهوا العديد من المصائب والمعارك(٣١) .

ثم يواصل ياقوت حديثه بقوله : « ولم تزل على ذلك بيد المسلمين والنصارى من الروم والأفرنج والأرمن وغيرهم من سائر أصنافهم يقصدونها للزيارة إلى بيعتهم المعروفة بالقمامة وليس فى الأرض أجل منها ، حتى انتهت إلى من ملكها سكمان بن أرتق وأخوه ايلغازى جد هؤلاء الذين بديار بكر صاحب ماردين وآمد ، والخطبة فيها تقام لبنى العباس ، فاستضعفهم المصريون وأرسلوا إليهم جيشًا لا طاقة لهم به ، وبلغ سكمان(٣٢) .

وأخاه خبر ذلك فتركوها من غير قتال وانصرفوا نحو العراق ، وقيل : بل حاصروهم ونصبوا عليها المجانيق ثم سلموها بالأمان ورجع هؤلاء إلى نحو المشرق، وذلك فى سنه ٤٩١(٣٣) ، واتفق أن الأفرنج فى هذه الأيام خرجوا من وراء البحر إلى الساحل فملكوا جميع الساحل أو أكثر وامتدوا حتى نزلوا على البيت المقدس فأقاموا عليها نيفًا وأربعين يومًا ثم ملكوها من شماليها من ناحية باب الأسباط عنوة فى اليوم الثالث والعشرين من شعبان سنة ٤٩٢ ووضعوا السيف فى المسلمين أسبوعًا والتجأ الناس إلى الجامع الأقصى فقتلوا فيه ما يزيد على سبعين ألفًا من المسلمين وأخذوا من عند الصخرة نيفًا وأربعين قنديلاً فضة كل واحد وزنه ثلاثة آلاف وستمائة درهم فضة وتنور فضة وزنه أربعون رطلاً بالشامى وأموالاً لا تحصى وجعلوا الصخرة والمسجد الأقصى مأوى لخنازيرهم ولم يزل فى أيديهم حتى استنقذه منهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة ٥٨٣ بعد إحدى وتسعين سنة أقامها فى يد الأفرنج(٣٤) .

وقد أسهبت المصادر فى تصوير أحداث استعادة صلاح الدين الأيوبى بيت المقدس من الصليبيين على النحو الآتى :

أنه بعد معركة حطين الشهيرة بين صلاح الدين والصليبيين والتى جرت أحداثها فى ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ (يوليو ١١٨٧م) والتى حقق فيها صلاح الدين نصرًا حاسمًا على الصليبيين أصبح الطريق ممهدًا أمامه للتوجه إلى بيت المقدس حيث كان ملكها ومعظم قواده أسرى لديه ، كما أن القوى الصليبية الأخرى كانت مهمومة بما أصابها من هزيمة فى حطين ، ومع كل هذا فإن صلاح الدين لم يتوجه إلى بيت المقدس مباشرة وإنما أثر أن يقوم ببعض الخطوات العسكرية فى مناطق أخرى قبل أن يتوجه إلى بيت المقدس ، ليضمن التفرد بها ، وقطع المساعدات عنها ، فبذل جهده أولاً فى احتلال العديد من المواقع القريبة من بيت المقدس ، فتمكن خلال فترة وجيزة من استعادة طبرية ، وعكا ، ثم نابلس ، وفتح أيضًا تبنين ، وصيدا ، وبيروت ، ثم تسلم عسقلان الحصينة ، وتسلم بعدها غزة والحصون القريبة لها(٣٤) .

وعندما ضمن صلاح الدين حماية السواحل بالأساطيل الإسلامية ضد أى هجوم بحرى متوقع ، توجه إلى بيت المقدس ، وكان قد تجمع بها بقايا الصليبيين ، يقودهم بطريرك بيت المقدس ، وصاحب الرملة وبقايا من سلم من حطين ، ومن هاجر إليها من البلاد والحصون التى فتحها المسلمون وأمنوا أهلها على الرحيل ، وكانت القدس مزدحمة بالمدافعين عنها ، والذين يرون أن الموت أهون عليهم من استعادة المسلمين لبيت المقدس ، مع ذلك واصل المسلمون سيرهم إلى القدس ، حتى وصلوا إلى أسوارها الغربية يوم الأحد الخامس عشر من رجب وكانت القدس مدينة محصنة تحصينًا عاليًا ، وبها من المقاتلين ما يزيد عن الستين ألفًا ، معظمهم أهل خبرة ومدافعة(٣٥) ، وقد بقى صلاح الدين وجنده خمسة أيام وهم يدورون على المدينة يتحسسونها كالصقور ، ويتسقطون أخبارها ويراقبون مواقعها العسكرية الدفاعية ليختاروا المكان المناسب للهجوم ، حتى وقع اختيارهم على الجهة الشمالية من المدينة ، فلم يصبح الناس يوم الجمعة العشرين من رجب إلا وقد نصبت المنجنيقات على ذلك الجانب ، وفى المقابل نصب الصليبيون منجنيقاتهم داخل أسوار القدس ، وأخذوا يرمون بها المسلمين ، وتقاتل الفريقان قتالاً شديدًا وكان شجعان الصليبيين يخرجون كل يوم إلى ظاهر البلد ويقاتلون المسلمون ، والحماس شديد بين الطرفين ، فبقدر ما كان الصليبيون حريصين على الاحتفاظ بالقدس لوازع دينى عندهم ، كان المسلمون أشد حرصًا منهم على استرداد المدينة لوازع دينى أقوى ، واستمات كثير من المسلمين فى القتال طلبًا للشهادة عند أسوار القدس(٣٦) ، وقد تحمس المسلمون فى القتال حتى أضطر فرسان الصليبيين إلى الاحتماء ، وعدم الخروج من المدينة ووصل المسلمون إلى الخندق ، وتمكنوا من إحداث نقب فى أحد الأسوار فى الوقت الذى كانت المنجنيقات فيه تمنع الأعداء من الدفاع عن الأسوار ، حتى أيس الصليبيون من جدوى دفاعهم ، وأحسوا أن القدس مأخوذة منهم وأن المسلمين لن يدعوها ، عند ذلك بدأوا التفاوض مع صلاح الدين على تسليم البلد ، وهنا ذكرهم صلاح الدين بما فعلوه بأهلها عندما احتلوها قبل تسعين عامًا تقريبًا ، فخشى الصليبيون

أن يقتلوا كلهم كما فعلوا بالمسلمين ، عند ذلك هددوا بحرق المدينة وقتل من عندهم من أسرى المسلمين وتخريب الصخرة وما بقى من المسجد الأقصى وقتل أهلهم والخروج على المسلمين مستميتين للقتال ، فاستشار صلاح الدين العلماء والقواد ، فاشاروا عليه بتأمين الناس على أن يدفع كل واحد منهم مقدارًا محددًا من المال ويسمح له بالخروج ، ويعطى الناس مهلة أربعين يومًا لمن أراد الخروج منهم بهذه الشروط ، وتم تسليم المدينة يوم الجمعة ٢٧ رجب ٥٨٣هـ الموافق ٢ من نوفمبر (١١٨٧م)(٣٧) ، وكان يوما مشهودًا علا فيه صوت التكبير والتهليل والتحميد فى مختلف أنحاء القدس ، وتوجه المسلمون إلى المسجد الأقصى وطهروه من بقايا عبث النصارى(٣٨) .

ثم يواصل ياقوت حديثه عن بيت المقدس بقوله : « وهى الآن فى يد بنى أيوب ، والمستولى عليهم الآن منهم الملك المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب(٣٩) ، وكانوا قد أحكموا سوره وعمروه وجودوه ، فلما خرج الأفرنج فى سنة ٦١٦ وتملكوا دمياط استظهر الملك المعظم بخراب سوره وقال : نحن لا نمنع البلدان بالأسوار إنما نمنعها بالسيوف والأساورة ، وهذا كاف فى خبرها وليس كل ما أجده أكتبه ولو فعلت ذلك لم يتسع لى زمانى ، وفى المسجد أماكن كثيرة وأوصاف عجيبة لا تتصور إلا بالمشاهدة عيانًا ، ومن أعظم محاسنة أنه إذا جلس إنسان فيه فى أى موضع منه يرى أن ذلك الموضع هو أحسن المواضع وأشرحها ، ولذلك قيل إن الله نظر إليه بعين الجمال ونظر إلى المسجد الحرام بعين الجلال :

أهيم بقاع القدس ما هبت الصبا ، فتلك رباع الأنس فى زمن الصبا

وما زلت فى شوقى إليها مواصلاً سلامى على تلك المعاهد والربى(٤٠)

يقول ياقوت بعد ذلك « والحمد لله الذى وفقنى لزيارته »(٤١) .

ثم إن مما تميز به معجم البلدان ومما يعد من ملامحه البارزة أن مؤلفه إذا كتب عن موضع من المواضع يذكر جملة ممن نبغ فيه من العلماء والأدباء والمشاهير مترجمًا لهم باختصار . وهو اختصار يتضمن تاريخ الحياة والوفاة أحيانًا ، كما يشير أحيانًا إلى العلوم والفنون والمعارف التى اشتهر فيها هذا العلم ، وإذا كان العلم شاعرًا ، فإنه يورد له نماذج من شعره كما سجله فى حديثه عن بيت المقدس ، فقد قال : « وينسب إلى بيت المقدس جماعة من العباد الصالحين والفقهاء منهم نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود أبو الفتح المقدسى الفقيه الشافعى الزاهد أصله من طرابلس وسكن بيت المقدس ودرس بها وكان قد سمع بدمشق من أبى الحسن السمسار وأبى الحسن محمد بن عوف وابن سعدان وابن شكران وأبى القاسم وابن الطبرى ، وسمع بأمد هبة الله بن سليمان وسليم بن أيوب بصور وعليه فقه وعلى محمد بن البيان الكازرونى ، وروى عنه أبو بكر الخطيب وعمر بن عبد الكريم الدهسانى وأبو القاسم النسيب وأبو الفتح نصر الله اللاذقى وأبو محمد بن طاووس وجماعة ، وكان قدم دمشق فى سنة ٧١ فى نصف صفر ثم خرج إلى صور وأقام بها نحو عشر سنين ثم قدم دمشق سنة ٨٠ فأقام بها يحدث ويدرس إلى أن مات ، وكان فقيهًا فاضلاً زاهدًا عابدًا ورعًا أقام بدمشق و لم يقل لأحد من أهلها صلة ، وكان يقتات من غلة تحمل إليه من أرض كانت له بنابلس وكان يخبز له منها كل يوم قرص فى جانب الكانون ، وكان متقللاً متزهدًا عجيب الأمر فى ذلك ، وكان يقول درست على الفقيه سليم من سنة ٣٧ إلى سنة ٤٠ ما فاتنى فيها درس ولا إعادة ولا وجعت إلا يوما واحدًا وعوفيت ، وسئل كم فى ضمن التعليقة التى صنفها من جزء ، فقال : نحو ثلثمائة جزء وما كتبت منها حرفًا وأنا على غير وضوء ، أو كما قال : وزاره تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان يومًا فلم يقم إليه وسأله عن أحل الأموال السلطانية فقال : أموال الجزية ، فخرج من عنده وأرسل إليه بمبلغ من المال وقال له : هذا من مال الجزية ، ففرقه على الصحاب و لم يقبله وقال : لا حاجة لنا إليه ، فلما ذهب الرسول لامه الفقيه أبو الفتح نصر الله بن محمد وقال له : قد علمت حاجتنا إليه فلو كنت قبلته

وفرقته فينا ، فقال : لا تجزع من فوته فلسوف يأتيك من الدنيا ما يكفيك فيما بعد ، فكان كما تفرس فيه ، وذكر بعض أهل العلم قال : صحبت أبا المعالى الجوينى بخراسان ثم قدمت العراق فصبحت الشيخ أبا إسحاق الشيرازى فكانت طريقته عندى أفضل من طريقة الجوينى ، ثم قدمت الشام فرأيت الفقيه أبا الفتح فكانت طريقته أحسن من طريقتهما جميعًا ، وتوفى الشيخ أبو الفتح يوم الثلاثاء التاسع من المحرم سنة ٤٩٠ بدمشق ودفن بباب الصغير ، ولم تر جنازة أوفر خلقًا من جنازته ، رحمة الله عليه؛ ومحمد بن طاهر بن على بن أحمد أبو الفضل المقدسى الحافظ ويعرف بابن القيسرانى ، طاف فى طلب الحديث وسمع بالشام وبمصر والعراق وخراسان والجبل وفارس ، وسمع بمصر من الجبائى وأبى الحسن الخلعى ، قال : وسمعت أبا القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ يقول : أحفظ من رائية محمد بن طاهر ما هو هذا :

إلى كم أمنى النفس بالقرب واللقا ... بيوم إلى يوم وشهر إلى شهر ؟
وحتام لا أحظى بوصل أحبتى ... وأشكو إليهم ما لقيت من الهجر ؟
فلو كان قلبى من حديد أذابه ... فراقكم أو كان من صالب الصخر
ولما رأيت البين يزداد والنوى ... تمثلت بيتًا فى سالف الدهر
متى يستريح القلب ، والقلب متعب، ... ببين على بينٍ وهجر على هجر ؟

قال الحافظ : سمعت أبا العلاء الحسن بن أحمد الهمذانى الحافظ ببغداد يذكر أن أبا الفضل ابتلى بهوى أمرأه من أهل الرستاق كانت تسكن قرية على ستة فراسخ فكان يذهب كل ليلة فيرقبها فيراها تنزل فى ضوء السراج ثم يرجع إلى هذان فكان يمشى كل يوم وليلة اثنى عشر فرسخًا ، ومات ابن طاهر ودفن عند القبر الذى على جبلها يقال له قبر رابعة العدوية وليس هو بقبرها إنما قبرها بالبصرة وإما القبر الذى هناك فهو قبر رابعة زوجة أحمد بن أبى الحوارى الكاتب وقد اشتبه على الناس »(٤٢) .

وهنا أشير إلى أنه من خلال إطلاعي على هذا الكتاب لياقوت الحموى ومن خلال هذه المحاولة للإفادة مما أورده من أخبار وآثار تاريخية مهمة لموضع من المواضع التى كتب عنها تبين لى ضرورة الالتفات لمثل هذا المصدر وغيره كثير من كتب التراث الإسلامى الزاخرة بالمعلومات التاريخية القيمة ، وليس بالضرورة العكوف على كتب المؤرخين وتكرار الرجوع إليه وإهمال المصادر الأدبية والجغرافية ، فالحقيقة التاريخية مباحة من أى مصدر لها .

الهوامش

(١) له ترجمة وافية فى المصادر الآتية : (القفطى ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ٤ /٨ ، المنذرى ، التكملة لوفيات النقلة ، ٣ / ٢٤٩ - ت ٢٥٦ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١٧٨/٥ - ١٨٩ ، ت ٧٦١ ؛ الذهبى ، سير أعلام النبلاء ٣١٢/٢٢ ، ت ١٨٨ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ١٥٢/٦ ؛ ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ١٢١/٥ - ١٢٢) .

(٢) ياقوت المعجم ، ٥ / ١١٤ .

(٣) مختصر تاريخ العرب / ٣٤٤

(٤) القفطى ، إنباه الرواة ، ٤ / ٩٠

(٥) المعجم ، ١ / ١٥ .

(٦) ص ١٣١ .

(٧) اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، القسم الأول ، نقله إلى العربية : صلاح الدين عثمان هاشم ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣م) . ص ٣٣٢ .

(٨) المعجم ، ٥ / ١٦٦ .

(٩) الآية (٧١) من سورة الأنبياء ، وقد أشار الطبرى فى تفسيره لهذه الآية إلى أن الله نجى إبراهيم ولوطًا عليهما السلام إلى الأرض المباركة وهى أرض الشام ومنها بيت المقدس فرارًا من أرض العراق من نمرود وقومه (جامع البيان عن تأويل أى القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٣م) تحقيق : محمود شاكر ، القاهرة ، دار المعارف ، ٩ /٤٤) .

(١٠) من آية (٨٠) سورة طه .

(١١) الآية (٥٠) سورة المؤمنون .

(١٢) من آية (١) سورة الإسراء ، وقد أشار شهاب الدين المقدسى إلى أنه لو لم يكن للمسجد الأقصى فضيلة إلا هذه الآية العظيمة لكانت كافية لأن الله تعالى نوه بأمره فى كتابه العزيز ، وجعله طريق حبيبه ﷺ لما أراد أن يعرج به إلى السماء . (شهاب الدين أبو محمود أحمد بن محمد المقدس الشافعى ، كتاب مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام المخطوطة السابعة ضمن كتاب : فضائل بيت المقدس فى مخطوطات عربية قديمة للدكتور / محمود إبراهيم ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، الكويت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م . ص ٣٣٩) .

(١٣) آية ٣٦ سورة النور .

(١٤) المعجم ، ٥ /١٦٦ .

(١٥) وقد وردت فى معنى هذا الحديث أحاديث كثيرة مع اختلاف فى ألفاظها فمرة ترد : مسجد الأقصى ، وأخرى مسجد إيلياء ، وثالثة مسجد بيت المقدس وهى غالبها ، وقد رويت معظم أحاديث « لا تشد الرحال » من طرق صحيحة . (وقد عقد لها الرفاعى صاحب كتاب الأحاديث الواردة فى فضائل المدينة فصلاً كاملاً فى رسالته التى قدمها لنيل درجة الدكتوراه من شعبه السنة بقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط١ (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ص ٤٣٨ - ٤٥٥ .

(١٦) وقد ورد هذا الحديث فى حديث ميمونة بنت سعد مولاة النبى ﷺ بنص آخر عن النبى ﷺ أن « الصلاة فيه - يعنى بيت المقدس - كألف صلاة فيما سواه » (الضياء المقدسى ، محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسى الحنبلى : فضائل بيت المقدس (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) تحقيق : محمد مطيع الحافظ ، دمشق ، دار الفكرة ، ١٤٠٥ هـ ، ١٧ .

(١٧) ذكر الزركشى فى إعلام الساجد أن نبينا سليمان - عليه السلام - لما أتم بناء المسجد الأقصى أوحى الله إليه بقوله : سلنى أعطك ، قال : أسألك ثلاث خصال . حكمًا يصادف حكمك ، وملكًا لا ينبغى لأحد من بعدى ، ومن أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال رسول الله ﷺ : أما اثنتين فقد أعطيهما . وأنا أرجو أن يكون قد أعطى الثالثة (الزركشى ، محمد بن عبد الله الزركشى ، ت ٧٩٤هـ / ١٣٩٢م - أعلام الساجد بأحكام المساجد ، تحقيق ، أبو الوفاء مصطفى المراغى ، ط٢ ، القاهرة مطابع الأهرام التجارية ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، ص ٢٨٢) .

(١٨) نقل الزركشى عن عطاء الخراسانى قوله : بيت المقدس بنته الأنبياء وعمرته الأنبياء ووالله ما فيه موضع شبر إلا وقد سجد فيه نبى (المصدر نفسه ، ص ٢٨٣) .

(١٩) هو ابى بن كعب بن قيس ، من بنى النجار كناه النبى ﷺ أبا المنذر ، شهد العقبة وبدرًا ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : أبى سد المسلمين : روى عنه عبادة بن الصامت وابن عباس وغيرهما ، وهو أول من كتب لرسول الله ﷺ بالمدينة . اختلف فى تاريخ وفاته ، والأرجح أنه توفى سنة ٣٠هـ (ابن الأثير ، عز الدين . أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، القاهرة ، ١٩٧٠م ٦١/١ وما بعدها) .

(٢٠) المعجم ، ٥ /١٦٦ - ١٦٨ .

(٢١) كذا وردت فى الأصل ، ولعلها : وما مثلك ليستقيم المعنى .

(٢٢) المعجم ، ٥ /١٦٨ - ١٦٩ .

(٢٣) المعجم ، ١٦٨/٥ - ١٧٠ .

(٢٤) السيد محمد ديب : ياقوت الحموى أديبًا وناقدًا ، القاهرة ، دار الطباعة المحمدية ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، ص ١١١ .

(٢٥) المعجم ، ٥ /١٧٠ - ١٧١ .

(٢٦) خليفة بن خياط : تاريخه ١٣٤ ، البلاذرى : فتوح البلدان ١٤٤ ، الطبرى : تاريخه ج ١٥٧/٤ ابن الأثير : الكامل ج٤٩٨/٢ .

(٢٧) البلاذرى : فتوح البدان ١٤٤ : الطبرى : تاريخه ج١٢٨/٤ ، ابن الأثير : الكامل ٥٠٠/٢ .

(٢٨) الذهبى : سير أعلام النبلاء ج٣٥٧/١ .

(٢٩) البلاذرى : فتوح البلدان ١٤٥ وانظر نص العهد معهم فى الطبرى : ج٤ / ١٥٩ .

(٣٠) خليفة بن خياط : تاريخه ١٣٥ ، ابن أعثم : الفتوح ج١ / ٢٢٩ ، الطبرى : تاريخه ج٤ / ١٦١ ، ابن الأثير : الكامل ج٢ / ٥٠١

(٣١) عبد العزيز العمرى ، الفتوح الإسلامية عبر العصور ، الرياض ، دار إشبيليا ، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م ، ١٣٧ - ١٤٠ ، وقد أورد قصة هذا الفتح كاملة استنادًا على المصادر التاريخية الأولية .

(٣٢) ورد الاسم هنا (سكمان) بالكاف ، ويرد أحيانًا فى المصادر بالقاف (سقمان) وهو الأشهر . (٣٣) تشير المصادر إلى أن الفاطميين بمصر كانوا يرقبون تقدم الصليبيين إلى المنطقة، وهم مسروررون بما حل بأعدائهم التقليديين السلاجقة ، وبمعنى أوسع العباسيين من خراب ودمار ، ورأوا أن ذلك سيحقق لهم مكاسب ثمنية فى مقدمتها استرداد ما ضاع منهم فى بلاد الشام من مواقع، سيما وأن الجبهة العباسية أنذاك فى حالة من التمزق والتناحر ، وأنهم قرروا بزعامة الأفضل بن بدر الجمالى الوزير الفاطمى الهجوم على بيت المقدس والاستيلاء عليه بحجة أنه كان أحد أملاكهم فى السابق ، ولما له من مكانة دينية فى نفوس المسلمين ، وقد كان يحكم بيت المقدس من قبل السلاجقة سقمان ، وإيلغازى ابنا ارتق بن أكسب ، فأرسل إليهما الوزير الفاطمى الأفضل يطلب منهما تسليم البلد دون الحاجة إلى سفك الدماء ، فأبيا ذلك

وصمما على المواجهة والصمود ، فقام الأفضل فى شعبان سنة ٤٩١هـ / ١٠٩٨م) بحصار بيت المقدس ونصب عليها ما يربو على أربعين منجيقًا ، وداوم فى حصارها أكثر من أربعين يومًا ، إلى أن هدم جانب كبير من سورها ، فاضطر ابنا أرتق ، أمام هذا الضغط ، وبسبب عجز بقية السلاجقة من امدادها لانشغالهم بأنفسهم وارتباكهم أمام سقوط أنطاكية ، اضطرا إلى تسليم المدينة . وتسلمها الأفضل فى الخامس والعشرين من رمضان سنة ٣٩١ هـ/١٠٩٨م، وأحسن إلى ابنى أرتق وإلى أقاربهما ، ولم يمسهما بسوء ، ورحلا منها إلى دمشق فعاد بذلك بيت المقدس إلى دائرة النفوذ الفاطمى مرة أخرى (ابن القلانسى ، تاريخ دمشق ٢٢١ : ابن ميسر ، أخبار مصر ، ٢ / ٣٨)

(٣٤) المعجم ، ٥ / ١٧١ .

(٣٥) لمزيد من التفصيلات عن هذه الفتوح ، انظر : (ابن الأثير ، الكامل ، ٥٣٨/١١ - ٥٤٧ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ٧٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ٣٢٢ - ٣٢٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٢ / ١٩٥ - ٢١٣) .

(٣٦) ابن الأثير : الكامل ج٥٤٧/١١ ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٢/٢١١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٣٢٣/١٢ ، وأبو شامة : الروضتين ج٢/٩٤ .

(٣٧) انظر : ابن الأثير : الكامل ج٥٤٧/١١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢/٢١٢ ، ابن الأثير: البداية والنهاية ج١٢ /٣٢٣ ، قدرى قلعجى : صلاح الدين الأيوبى ٣٣٠ .

(٣٨) انظر : ابن الأثير : الكامل ج٥٤٩/١١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢/٢١٤ ، ابن الكثير: البداية والنهاية ج١٢ /٣٢٣ ، أبو شامة : الروضتين ، ج٢/٩٨ ، ابن خلكان وفيات الأعيان ج٧ /١٧٩ ، المقريزى : السلوك ق١ ج١/١٢٢ ، قدرى قلعجى : صلاح الدين الأيوبى ٣٣٧ .

(٣٩) عبد العزيز العمرى ، الفتوح الإسلامية ، ٢٨٠ - ٢٨٩ ، وقد أورد تفصيلات هذا الفتح كاملة استنادًا على المصادر التاريخية الأولية .

(٤٠) تتضح من ذلك سنة زيارة ياقوت إلى بيت المقدس أنها كانت زمن حكم الملك المعظم عيسى بن الملك العادل الأيوبى الذى حكم بين سنى (٥٩٢ - ٦٢٤هـ/ ١١٩٦ - ١٢٢٧م) .

(٤١) المعجم ، ١٧١/٥ .

(٤٢) نفسه ، ١٧١/٥ .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

- **ابن الأثير** ، على بن أبى الكرم محمد الشيبانى الجزرى عز الدين (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م) .

١ - الكامل فى التاريخ ، ط ٤ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣م) .

٢ - أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

-- ابن أعثم **الكوفى** ، أبو محمد أحمد (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦م) .

الفتوح ، حيدر أباد الدكن ، (١٣٨٨هـ) .

-- **البلاذرى** ، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت : ٢٧٩ - ٨٦٤م)

فتوح البلدان ، راجعه وعلق عليه : رضوان محمود رضوان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) .

-- ابن **تغرى بردى** ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكى (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩ م) .

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .

-- ابن **خلكان** ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق د . إحسان عباس ط دار صادر بيروت ، ١٩٧٢م .

-- **خليفة بن خياط** ، ابن أبى هبيرة الليثى العصفرى (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) .

التاريخ ، تحقيق : أكرم ضياء العمرى ، ط٢ ، بيروت ، دار القلم ، مؤسسة الرسالة ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧م) .

- **الذهبى** ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) .

سير أعلام النبلاء أجزاء متفرقة ، الإشراف العام على التحقيق وتخريج الأحاديث شعيب الرنؤوط ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة بيروت ، (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م) .

- **الزركشى** ، محمد بن عبد الله الزركشى ، (ت ٧٩٤هـ/١٣٩٢م) إعلام الساجد بأحكام المساجد ، تحقيق ، أبو الوفاء مصطفى المراغى ، ط٢ ، القاهرة مطابع الأهرام التجارية ، (١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٢م) .

- **أبو شامة** ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م) .

كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، نشر وتحقيق : محمد حلمى أحمد ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٥٦م) .

- **ابن شداد** ، يوسف بن رافع بن تميم الأسدى أبو المحاسن بهاء الدين (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م) .

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، القاهرة الدار المصرية للتأليف والترجمة (١٩٦٤م) .

- **الضياء المقدسى** : محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسى الحنبلى .

فضائل بيت المقدس (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) تحقيق : محمد مطيع الحافظ ، دمشق ، دار الفكر ، ١٤٠٥هـ .

- **الطبرى** ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٣ م) .

١ - جامع البيان عن تأويل أى القرآن . تحقيق : محمود شاكر ، القاهرة ، دار المعارف (د . ت) .

٢ - تاريخ الأمم والملوك ، بيروت (د . ت) .

- **ابن العماد الحنبلى** ، أبو الفلاح عبد الحى الحنبلى (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م).
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . ط١ ، بيروت ، دار الفكر (١٣٩٩هـ).

- **القفطى** ، الوزير جمال الدين أبو المحسن على بن القاضى الأشرف يوسف (ت٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) .
إنباه الرواة على إنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ط١ دار الفكر العربى ، بيروت مؤسسة الكتب الثقافية (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) .

- **ابن القلانسى** ، أبو يعلى حمزة بن أسد بن على التميمى الدمشقى (٥٥٥هـ / ١١٦٠م) .
تاريخ دمشق ، تحقيق سهيل زكار ، دمشق ، دار حسان ، ١٤٠٣هـ .

- **ابن كثير** ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشى الدمشقى (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) .
البداية والنهاية ، ط٢ ، بيروت ، مكتبة المعارف ، ١٩٧٧م .

- **المقدسى** ، شهاب الدين أبو محمود أحمد بن محمد المقدسى الشافعى ، كتاب مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام ، المخطوطة السابعة ضمن كتاب : فضائل بيت المقدس فى مخطوطات عربية قديمة للدكتور / محمود إبراهيم ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م .

- **المقريزى** ، تقى الدين أحمد بن على (ت : ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) .
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، ط٢ نشر محمد مصطفى زيادة ، القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٧٠م) .

- **المنذرى** ، زكى الدين أبو محمد بن عبد العظيم بن عبد القوى (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) .
التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق وتعليق : بشار عواد معروف ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤ م .

- **ابن ميسر** ، محمد بن على بن يوسف بن جلب (ت : ٦٦٧ هـ/ ١٢٧٨م)
أخبار مصر ، القاهرة ، المعهد العلمى الفرنسى بمصر (١٩١٩م) .

- **ابن واصل** : جمال الدين محمد بن سالم الحموى (ت ٦٩٧ هـ/ ١٢٩٧م).
مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط القاهرة (١٩٥٣م) .

- **ياقوت الحموى** : شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)
معجم البلدان ، بيروت دار صادر ، بيروت ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م .

ثانيا : المراجع :

- **اغناطيوس كراتشكوفسكى** ، تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، القسم الأول ، نقله إلى العربية : صلاح الدين عثمان هاشم ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

- **صالح بن حامد الرفاعى** : فضائل المدينة « رسالة دكتوراه من شعبة السنة بقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة » ط (١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م) .

- **سيد أمير على** ، مختصر تاريخ العرب ، بيروت ، دار العلم للملايين ط٢ (١٣٨٧هـ) .

- **السيد محمد ديب** ، ياقوت الحموى أديبًا وناقدًا ، القاهرة ، دار الطباعة المحمدية ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

- **صلاح الدين المنجد** ، أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ط٢ (١٣٩٨هـ) .
- **على أدهم** ، بعض مؤرخى الإسلام ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (١٩٧٤م) .
- **قدرى قلعجى** ، صلاح الدين الأيوبى ، بيروت ، شركة المطبوعات(١٩٩٢م).